مجلة الأمانة العلمية – مجلة علمية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 307 / 2025
ISSN:3106-1176 https://ssj.org.ly

التغلغل الانجليزي في الصين وحروب الأفيون الاولى والثانية عام 1839-1860م

د. ياسمينة مصباح محمد صالح

(عضو هيئة التدريس بدرجة محاضر - التخصص الدقيق تاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ - جامعة عمر المختار - ليبيا)

Yasmena.saleh@omy.edu.ly

الملخص:

تعتبر حرب الافيون من الحروب المهمة التي حدثت في تاريخ الصين حيث حدثت في منتصف القرن 19 التاسع عشر وشهدت الصين صراعاً دامياً عرف باسم (حروب الافيون و صفها بعض المؤرخون بأنها أقذر حرب في التاريخ نظراً لاستخدام بريطانيا الافيون ضد الصين) إذ بدخول مادة الافيون الى الصين وانتشاره في اسواقها أدى الى تدهور الوضع الصحي والأخلاقي للمجتمع الصيني، وأدى هذا الوضع الى تراجع الصناعات التقليدية اليدوية التي كانت يعتمد عليها المجتمع الصيني واستبدالها بالبضائع الاوروبية الحديثة، وبذلك زادت الصادرات الاوروبية ودخولها الى السوق الصينية، وأجبر الاوروبيون خاصة بريطانيا الصين على فتح موانئها أمام التجارة الاوروبية، وحصول بريطانيا على امتيازات مشابهة للامتياز الاوروبي، وبالرغم من فتح الصين العديد من الموانئ للبضائع البريطانية إلا انها لم تلق رواجاً في الاسواق الصينية؛ نظراً لأن الصينيين يفضلون البضائع المحلية لرخص ثمنها، بينما كانت البضائع البريطانية باهظة الثمن؛ ولهذا السبب خسرت البضائع البريطانية أمام البضائع الصينية لأن البضائع البريطانية باهظة الثمن، وبذلك تعرضت بريطانيا الى خسائر فادحة كون انها تنفق اموالاً طائلة على السفن لنقل البضائع وايصالها الى الصين فأرادت بريطانيا تعويض هذه الخسائر فقامت بإدخال مادة الافيون الى الاسواق الصينية سراً بالتعامل مع بعض التجار الصينيين مقابل حصولهم على الاموال وانتشرت مادة الافيون بشكل كبير في الصيف فقامت الحكومة الصينية باتخاذ اجراءات صارمة ضد ترويج هذه المادة فتدخلت بريطانيا في صراع عسكري مع الحكومة الصينية عرف هذا الصراع الاول بحرب الافيون الاولى وجرت وقائعها بين عامي (1039-1842م) بين الصين وبريطانيا، وكان السبب الرئيسي لاندلاع الحرب عندما واجهت الصين أزمة أخلاقية واقتصادية خانقة تمثلت في انتشار تجارة الأفيون غير المشروعة التي مارسها التجار الانجليز عن طريق (شركة الهند الشرقية) وفي عام (1839م) قررت الحكومة الصينية مواجهة هذه الكارثة فأحرقت مخزونها من الأفيون كان التجار الانجليز يخزنوه في إقليم غواتعزو وصادرت 1400 طن من هذه المادة ولم ترضي هذه الخطوة بريطانيا التي كانت تسعى وراء الأرباح الضخمة من تجارة الافيون، ومع ازدياد حدة التوتر بين البلدين بسبب تجارة الأفيون غير المشروعة وقع حادث أشعل فتيل الحرب في يوليو 1839م حين قام تاجر بريطاني بأعمال شغب في إحدى القرى الصينية أسفرت عن قتل قروي، حينها طالبت بكين بتسليم المدانين لمحاكمتهم إلا أن حكومة لندن رفضت، ومع تصاعد التوتر بين الصين وبريطانيا اندلعت حرب الأفيون الأولى سنة 1839م، بدأت حينها الأعمال العدائية عندها قصفت سفينة حربية بريطانية المدن الصينية حيث هاجمت شركة الهند الشرقية البريطانية الساحل الصيني واستولت على كانتون وغيرها من الموانئ دون انتظار أي محادثات مع الجانب الصيني، كما طالبوا بدفع ثمن الأفيون الذي استولوا عليه وبدأوا في إطلاق مدافعهم على السفن الصينية مما أدى الى غرق العديد منها، خسرت الصين حرب الافيون الاولى بسبب سوء تقديرها لقوة الاسطول البريطاني في البحر وافتقارها الى مقاومة وطنية موحدة وافتقارها

الى الاسلحة الحديثة كما كانت معروفة التاريخ اضطرت الى قبول معاهدة مهنية عرفت باسم معاهدة (تانغ كينج اناكين) والتي تم توقيعها في 29 اغسطس 1842م وجاء منها:

1- دفع تعويضات كبيرة لتعويض خسائر الحرب وتكلفة الافيون الذي تم إعدامه.

2- تسليم هونج كونج للبريطانيين وما حولها إلى قاعدة اقتصادية وسياسية وعسكرية لبريطانيا.

3- فتح خمس موانئ مهمة أمام التجارة البريطانية.

4- استخدام محاكم بريطانية خاصة لمحاكمة الرعايا البريطانيين وغيرها من بنود المعاهدة أهمها بألا تتجاوز ضريبة الاستيراد على المنتجات الأجنبية 5% من قيمتها.

وفي أعقاب الحرب الأولى سيطرت مشاعر متضاربة على الصين واجهت البلاد آثار الهزيمة المرة والتكيف مع بنود معاهدة نانكت، مما زاد من حدة التوتر وما فاقم الأمور المطالب البريطانية الجديدة هي فتح جميع الموانئ الصينية أمام التجارة الأوروبية وخفض التعريفة المفروضة على المنتجات البريطانية وشرعية تجارة الأفيون، وأثارت هذه المطالب غضب عارماً في الصين، وفي عام 1856م شنت بريطانيا وفرنسا حرباً على الصين عرفت باسم حرب الأفيون الثانية، وكانت أكثر قسوة ودموية، إذ احتلت القوات البريطانية والفرنسية الخاصة بكين، وأحرقت القصر الامبراطوري وحينها كانت الصين لا تزال تعاني من آثار حرب الأفيون الأولى، ولم تكن تمتلك الأسلحة الحديثة التي كانت لدى بريطانيا وفرنسا، ولم تبدأ بريطانيا عملياتها العسكرية مع فرنسا إلا في أواخر 1858م، وسرعان ما استولت القوات البريطانية والفرنسية على كانتون، وفي اغسطس 1856م عندما استولى منغ نشن نائب الامبراطور على سفينة (السهم) كانت السفينة مملوكة لرجل صيني يعمل تحت الحماية البريطانية بسبب أنشطة غير قانونية قام بها بعض الصينيين ومكنت القوات المتحالفة من قصف مقر الحاكم الصيني واستولوا على الحصون المدافعة عن كانتون، ثم نقل البريطانيون والفرنسيون ساحة المعركة إلى قرب الموانئ إلى بكين فأجبروا الحكومة الصينية على توقيع معاهدة جديدة غير عادلة معاهدة تيسان سنة 1850م، وتضمنت هذه المعاهدة قانونية تجارة الأفيون، والقدرة على السفر بحرية عبر الصين في رحلات تبشيرية، وأيضاً الترحيب بالدبلوماسيين الأوروبيين، وتطبيق ضريبة جمركية لا تتجاوز 20.5 على التجارة الدولية داخل الصين، ومنح بريطانيا قطعة أرض قبالة جزيرة هونج كونج، وفي وقت لاحق وقع الصينيون (اتفاقية بكين) التي وافقوا فيها بالالتزام ببنود معاهدة تياسانأ، وأيضًا تنازل البريطانيين على الجزء الغربي من جزيرة (كولون) والسماح للتجار الأوروبيين بممارسة الأعمال التجارية داخل الصين دون الحاجة الى دفع ضريبة عبور، وشراء روسيا أجزاء من شمال شرق الصين واستيلاء روسيا على أجزاء من شمال شرق الصين، ونتيجة لهذه المعاهدات تعرض الصين للخسارة والإذلال على يد الغرب وروسيا، وتنامي النفوذ الاستعماري فيها، وأصبحت البلاد بؤرة للاستغلال والنهب نتيجة لجهود التغلغل التي بذلتها المصالح البريطانية والفرنسية والروسية أسست الصين عهداً جديداً من العلاقات مع الغرب خلال حربي الأفيون الأولى والثانية وافتتاح الموانئ الصينية.

الكلمات المفتاحية: الأفيون، الصين، إنجلترا، تجارة، كانتون.

Abstract.

The Opium War is considered one of the most important wars in Chinese history. It took place in the mid-19th century and saw China embroiled in a bloody conflict known as the Opium Wars. Some historians describe it as the dirtiest war in history due to Britain's use of opium against China. The introduction of opium into China and it's spread in its markets led to the deterioration of the health and morals of Chinese society. This situation led to the decline of traditional handicraft industries on which Chinese society depended and their replacement with modern European goods, thereby increasing European exports and their entry into the Chinese market. The Europeans, especially Britain, forced China to open its ports to European trade, and Britain obtained privileges similar to those enjoyed by Europe. Although China opened many ports to British goods, they did not sell well in Chinese markets because the Chinese preferred local goods due to their low prices, while British goods were expensive. For this reason, British goods lost out to Chinese goods because British goods were expensive. This caused Britain to suffer heavy losses, as it spent huge sums of money on ships to transport goods to China. Britain wanted to compensate for these losses, so it secretly introduced opium into the Chinese market by dealing with some Chinese merchants in exchange for money. Opium spread rapidly, so the Chinese government took strict measures against the promotion of this substance. Britain intervened in a military conflict with the Chinese government. This conflict was known as the First Opium War and took place between 1839 and 1842 between China and Britain. The main reason for the outbreak of the war was that China faced a suffocating moral and economic crisis represented by the spread of the illegal opium trade practiced by English merchants through the East India Company. In 1839, the Chinese government decided to confront this disaster by burning its opium stockpile, which British merchants had stored in the Guangzhou region, and confiscating 1,400 tons of the substance. This move did not please Britain, which was seeking huge profits from the opium trade. As tensions between the two countries escalated over the illegal opium trade, an incident occurred in July 1839 that sparked the war. A British merchant rioted in a Chinese village, resulting in the death of a villager. Beijing demanded that the perpetrators be handed over for trial, but the London government refused. With tensions between China and Britain escalating, the First Opium War broke out in 1839. Hostilities began when a British warship bombarded Chinese cities, and the British East India Company attacked the Chinese coast and seized Canton and other ports without waiting for any talks with the Chinese side. They also demanded payment for the opium they had seized and began firing their cannons at Chinese ships, sinking many of them. China lost the First Opium War due to its misjudgment of the strength of the British navy, its lack of unified national resistance, and its lack of modern weapons. As history shows, it was forced to accept a treaty known as the Treaty of Tang King Anakin Treaty, which was signed on August 29, 1842, and stated:

1. Payment of substantial compensation for war losses and the cost of opium destroyed.
2. Surrender of Hong Kong and its surroundings to the British as an economic, political, and military base for Britain.
3. Opening of five important ports to British trade.
4. Use special British courts to try British nationals and other provisions of the treaty, the most important of which is that import taxes on foreign products should not exceed 5% of their value.

In the aftermath of the first war, conflicting emotions prevailed in China as the country faced the bitter effects of defeat and had to adapt to the terms of the Treaty of Nanking, which

increased tensions and exacerbated the situation. The new British demands were to open all Chinese ports to European trade, reduce tariffs on British products, and legalize the opium trade. These demands sparked widespread anger in China, and in 1856, Britain and France launched a war against China known as the Second Opium War. It was even more brutal and bloody, with British and French forces occupying Beijing and burning down the Imperial Palace. At that time, China was still suffering from the effects of the First Opium War and did not possess the modern weapons that Britain and France had. Britain did not begin its military operations with France until late 1858. British and French forces quickly seized Canton, and in August 1856, when Meng Nian, the deputy emperor, seized the ship Arrow, which was owned by a Chinese man working under British protection due to illegal activities carried out by some Chinese, the allied forces bombarded the Chinese governor's headquarters and seized the forts defending Canton. The British and French then moved the battlefield closer to the ports of Beijing and forced the Chinese government to sign a new, unfair treaty, the Treaty of Tientsin, in 1850. This treaty legalized the opium trade, allowed free travel through China on missionary trips, welcomed European diplomats, imposed a customs duty of no more than 20.5% on international trade within China, and granted Britain a piece of land off the island of Hong Kong. Later, the Chinese signed the Treaty of Beijing, in which they agreed to abide by the terms of the Treaty of Tiassan, and the British ceded the western part of the island of (Kowloon) and allowing European merchants to conduct business within China without having to pay transit taxes, and Russia's purchase of parts of northeastern China and Russia's seizure of parts of northeastern China. As a result of these treaties, China suffered loss and humiliation at the hands of the West and Russia, and colonial influence grew within it. The country became a hotbed of exploitation and plunder as a result of the penetration efforts of British, French, and Russian interests. China established a new era of relations with the West during the First and Second Opium Wars and the opening of Chinese ports.

Keywords: Opium, China, England, trade, Canton.

ـ المقدمة:

شهد القرن التاسع عشر تغييرات كبيرة في العلاقات الدولية مع الصين بسبب الغزو الإنجليزي وحرب الأفيون الأولى والثانية. توسعت بريطانيا في الصين، مع التركيز على المصالح التجارية والصناعية. ومع ذلك، كانت التجارة الصينية محدودة، وسعت بريطانيا إلى توسيع نطاق الوصول إلى الأسواق الصينية. اندلعت حرب الأفيون الأولى (1839-1842م) عندما حظرت الصين تجارة الأفيون، مما تسبب في توترات بين بريطانيا والصين. اتخذت الحكومة الصينية إجراءات ضد تجار الأفيون البريطانيين، مما أدى إلى معاهدة نانكينغ (1842م) التي منحت بريطانيا امتيازات مثل جزيرة هونغ كونغ وموانئ أكبر للتجارة البريطانية. تلت ذلك حرب الأفيون الثانية (1856-1860م) التي غذتها الرغبات الغربية في حريات الأعمال، والصعوبات التجارية، والنفوذ الغربي المتزايد في الصين. انتهت الحرب بخسارة صينية أخرى، وتم توقيع المزيد من المعاهدات، مما أعطى الدول الغربية المزيد من السلطة الاقتصادية والقانونية.

أبدى الإنجليز اهتمامًا بالصين في بداية القرن السابع عشر، حيث تأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية في 31 ديسمبر 1600م، وسيطرت على تجارة الشاي مع الصين وأنشأت فرعًا لها في كانتون عام 1685م، ولكن لم تبدأ التجارة المنظمة مع الصين إلا في عام 1715، كما رست أول سفينة لشركة الهند الشرقية البريطانية، محملة بالأفيون، في عام 1792م، استوردت الصين أكثر من 40000 كرتونة من هذه المادة في عام 1838م، ومن خلال الاستفادة من رغبة الشعب الصيني القوية في استهلاك هذا المخدر، تمكن

المستعمرون البريطانيون من تطوير مجالات نفوذ واسعة في الصين، وألحقت تجارة الأفيون أضرارًا بالغة بالاقتصاد الصيني، ولم يفعل لين سي سي، الإمبراطور الصيني، شيئًا حيال ذلك. طوال عام 1840، حظر بيع وتوزيع وتدخين الأفيون، ثم قرر إغلاق المنظمات والمؤسسات التبشيرية في جميع أنحاء أوروبا، وبعد ذلك، نظمت الحكومة الصينية احتجاجات واسعة النطاق ضد الاستعمار البريطاني ووجوده العسكري في الصين، كما سيطرت على مخازن الأفيون في كانتون وأشعلت فيها النار في العراء.[1]

استمر هذا الوضع حتى نهاية القرن الثامن عشر، عندما قاد اللورد ماكارتني بعثةً إلى بكين أرسلها الملك جورج الثالث ملك إنجلترا عام 1793م، وكُتبت على العلم الذي رفعه عبارة "السفير يحمل الجزية من أرض الإنجليز إلى الإمبراطور تشينلينغ" باللغة الصينية، ركع على ركبة واحدة بدلاً من الانحناء للإمبراطور عند لقائهما الأول، وقد رحب الإمبراطور بالدبلوماسي البريطاني بحرارة.

- مشكلة الدراسة:

شكلت هذه الحروب جزءًا هامًا من النفوذ البريطاني في القرن التاسع عشر كما يتناول البحث حربي الأفيون الأولى والثانية، مع التركيز على تأثير النفوذ البريطاني على الصين وأثره على التاريخ الآسيوي المعاصر، حيث تدخلت بريطانيا في السياسة الصينية عبر التجارة القسرية، وخاصة تجارة الأفيون.

شكلت هذه المعارك بداية عصر من التفكك الداخلي، مما أدى إلى معاهدات غير عادلة حدت من حرية الصين السياسية والاقتصادية. وكانت حروب الأفيون صراعًا أيديولوجيًا وثقافيًا، حيث فرضت الدول الغربية أفكارًا استعمارية أضعفت الاقتصاد والمجتمع الصيني. كما ضعفت الحكومة الصينية المركزية، وفقدت سلطتها على المقاطعات الرئيسية. حيث جعلت هذه القضايا الداخلية الدولة الصينية أكثر عرضة للتأثيرات الأجنبية، مما أدى إلى هشاشة تاريخية وإذلال.

كيف أثر التغلغل الإنجليزي في الصين من خلال حروب الأفيون الأولى والثانية على تاريخ آسيا الحديث؟

- تساؤلات الدراسة:

1. كيف غيّر الغزو البريطاني للصين في القرن التاسع عشر الديناميكيات السياسية والاقتصادية للمنطقة؟
2. ما هي الأسباب الرئيسية التي دفعت الصين وبريطانيا إلى بدء حرب الأفيون الأولى؟
3. ما آثار حرب الأفيون الأولى على العلاقات الدولية الآسيوية والسيادة الصينية؟
4. ما العوامل التي ساهمت في اندلاع حرب الأفيون الثانية، وما أثرها على الصين؟
5. ما دور حروب الأفيون في تعزيز الهيمنة الاستعمارية الغربية في الصين وآسيا عمومًا؟

- أهداف الدراسة:

1. ناقش أسباب الغزو البريطاني للصين وكيف أثر على الشؤون العالمية في القرن التاسع عشر.
2. ناقش كيف أثرت حرب الأفيون الأولى على السياسة الصينية واقتصاد البلاد ومجتمعها.
3. ناقش أسباب اندلاع حرب الأفيون الثانية وكيف أثرت على ديناميكيات القوة في آسيا.
4. ناقش كيف أثرت معاهدتا نانجينغ وتيانجين على تطور السيطرة البريطانية على الصين ونتائجها.

5. ناقش كيف أثرت حروب الأفيون على بداية عصر عدم الاستقرار والضعف للإمبراطورية الصينية.

المبحث الأول: التغلغل الإنجليزي في الصين:

يُعدّ الغزو البريطاني للصين جانبًا هامًا من تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر. فقد بدأ ظهور القوة الاستعمارية الأوروبية في الشرق الأقصى، إحدى أهم المناطق الاقتصادية والتجارية في العالم، خلال هذه الفترة. ومن خلال خلق أسواق جديدة للسلع البريطانية، سعت بريطانيا إلى تعزيز قوتها الاقتصادية والسياسية في تلك الفترة، لا سيما مع بروزها كعملاق صناعي عالمي.

كانت الصين هدفًا مرغوبًا فيه للدول الأوروبية نظرًا لسوقها الواسع وثروتها الاقتصادية. إلا أن نهج الحكومة الصينية اقتصر على فتح بعض الموانئ للتجارة الدولية، مما أدى إلى صراعات خطيرة مع الدول الغربية الساعية إلى زيادة نفوذها الاقتصادي في البلاد. وقد جعلت الظروف الاقتصادية والجيوسياسية، وتطور القدرات العسكرية الأوروبية، الصين هدفًا مثاليًا للغزو الاستعماري، على الرغم من قدرتها الطويلة على إحباط الهيمنة الغربية.[1]

إن القوى الاقتصادية والسياسية ساهمت في توسع الإمبراطورية البريطانية في الصين، مع تأثير السياسات البريطانية آنذاك على الأوضاع الداخلية للصين والنظام الدولي الاقليمي وتطور العلاقات بين الصين وبريطانيا، إلى جانب الكيفية التي شكلت بها الحروب والنزاعات الاقتصادية نقاط تحول مهمة في هذا التسلل وأدت إلى تغيير مسار التاريخ الصيني المعاصر بشكل أساسي.[2]

أ- الخلفية التاريخية والعوامل المؤدية إلى التغلغل الإنجليزي في الصين:

الصين أمة عريقة كان لها تأثير كبير على الفلسفة الإنسانية والثقافة العالمية القديمة. بفضل مساحتها الشاسعة - حوالي تسعة ملايين وستمائة ألف كيلومتر مربع - وموقعها النائي في أقصى الشرق، كانت منيعة على التأثيرات الخارجية. تتمتع ببيئة طبيعية متنوعة تجعلها غير مضيافة نسبيًا، خالية من التجارة الخارجية واستيراد السلع من الدول الأوروبية التي سعت إلى التجارة مع الصين.[3]

عندما طرد الهولنديون البرتغاليين من أمبوبو عام 1605 بعد أن ذهب أسطول هولندي إلى شبه جزيرة ماكاو للقيام بذلك، بدأت الهيمنة البرتغالية في المحيط الهادئ في التراجع في الجزء الأول من القرن السابع عشر الميلادي.

1وعلى الرغم من فشلها، فقد أسفرت الحملة الهولندية عن نتائج مهمة، بما في ذلك تطوير علاقات قوية مع الصين وتراجع النفوذ البرتغالي هناك.

في عام 1619م، تم إبرام اتفاقية ثنائية بين الهولنديين والإنجليز في نفس الوقت. وتقرر الاستيلاء على إحدى جزر جنوب الصين وجعل السفن التجارية الصينية تتعامل تجاريًا معها فقط. كما تقرر إنشاء مجلس دفاع موحد. وسيستخدم مجلس الدفاع لتأمين التجارة مع الصين، وتعطيل التحركات الصينية، وتذكيرهم بأنهم لن يتعاملوا تجاريًا إلا معنا، وفقًا للمادة 10 من الاتفاقية.[4]

استمر هذا الوضع حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، عندما قاد اللورد ماكارتي بعثةً إلى بكين عام 1793م نيابةً عن الملك الإنجليزي جورج الثالث. كان علم البعثة مكتوبًا عليه باللغة الصينية: "السفير

[1] جهاد صالح عمر وماجد سلمان حسين (1988م) حركات التحرر في العالم الثالث، البصرة ص1 ص231.
[2] ك.م. بانيكار، (1968م)، أسيا والسيطرة الغربية، عبدالعزيز توفيق جاويد، ص120.
[3] يوسف محمد السلطان عبد علي الخفاف، (1986م)، الجغرافية الإقليمية للقارات، أسيا، أفريقيا، استراليا، البصرة، ص18-32.
[4] ك.م. بانيكار، (1968م) عبد العزيز توفيق جاويد، مرجع سابق، ص 80.

يُقدم تحيةً من إنجلترا إلى الإمبراطور تشينلينغ". ركع الدبلوماسي على ركبة واحدة بدلًا من الانحناء للإمبراطور عند لقائهما الأول. وقد عانق الإمبراطور الدبلوماسي البريطاني بحرارة. كما يتضح من الرسالة التي أرسلها الإمبراطور واللورد ماكارتي إلى الملك جورج الثالث، والتي أشارت إلى أن "إمبراطوريته تمتلك كل شيء بوفرة ولا ترغب في أي شيء من الخارج"، لم تتحقق نتائج سياسية واقتصادية.[5]

وصل وفد ثانٍ عام 1816م، بقيادة اللورد أمهرست، الذي تحدى عادة الخضوع للإمبراطور. حيث اضطرت البعثة للعودة دون لقاء الإمبراطور.[6]

لم يكن للإنجليز نفوذ اقتصادي أو سياسي يُذكر في الصين طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر. وفيما يلي أسباب ذلك:

أولاً: نظرًا لاعتبارها غير ضرورية ولا تتوافق مع كرامة الصين، لم تُبدِ القيادة الصينية اهتمامًا يُذكر بالتجارة البحرية.

ثانيًا: على الرغم من ضعفها السياسي، ظلت الحكومة الصينية موحدة سياسيًا.

ثالثا: أصبحت الأسرة الصينية الوحدة الأساسية للإنتاج عندما تم دمج الحرف اليدوية الفردية والأراضي الزراعية.

رابعًا: عانى الشعب الصيني نتيجة تأجير ممتلكاته ودفع الضرائب للحكومة.

كانت علاقات شركة الهند الشرقية الإنجليزية مع الصين مقيدة للغاية، إذ اقتصرت على منطقة كانتون على الساحل الجنوبي للصين، واقتصرت على تجارة عدد قليل من السلع، مع فرض ضرائب عالية ومراقبة دقيقة للتجار. وبينما استورد التجار الأوروبيون كميات هائلة من الحرير والشاي والأرز، لم تستورد الصين سوى الفراء والأدوية وبعض المواد الاستهلاكية التي تستخدمها الطبقة العليا.[7]

استُنفدت مخزونات الغرب من الذهب والفضة تدريجيًا نتيجةً لتجارة سبائك الذهب والفضة. أُخذ في الاعتبار إيجاد شيء يقبله الصينيون، ووُضعت الحلول التالية - وأهمها:

1. زيادة حجم صادراتهم من المنتجات الزراعية والصناعية إلى الصين - من أجل اتخاذ الإجراء المناسب.
2. زيادة صادرات الفضة والذهب.
3. تحديد الشيء الذي سيشتريه الصينيون، ثم استخدام الأموال لشراء المنتجات الصينية.
4. إن ضعف رغبة الشعب الصيني في السلع الأوروبية جعل الخيار الأول، بطبيعة الحال، عديم الجدوى، وكان من شأن الخيار الثاني أن يستنفد احتياطيات الذهب والفضة الأوروبية.[8]

بعد التوصل إلى اتفاق في النصف الأول من القرن السابع عشر، كما ذكرنا سابقًا، لمساعدة البريطانيين على فهم الأوضاع في الصين وحاجة الشعب الصيني للمنتجات الأوروبية، يُنسب إلى البرتغاليين الفضل في التوصل إلى حل للمشكلة البريطانية. وفيما يتعلق بالتفاعل مع الصينيين، وجدت شركة الهند الشرقية البريطانية أن الأفيون هو أفضل طريقة لتحقيق التوازن التجاري وإخراج الصين من عزلتها (13).

[5] Marshall Broom Hall, (1907), The Chinese Empire, York, P: 54.

[6] ك.م. بانيكار، (1968م) أسيا والسيطرة الغربية، مرجع سابق، ص82.

[7] ك.م. بانيكار، (1968م) أسيا والسيطرة الغربية، مرجع سابق، ص124.

[8] فؤاد محمد شبل (1968م) حكمة الصين، دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور، ج 1، مصر، ص 72.

في عام 1773، بُذلت محاولات لاحتكار إنتاج الأفيون في الهند، وخاصة في منطقة البنغال. ومن خلال القيام بذلك، تمكنت الشركة من تحقيق هدفين رئيسيين:

أولًا: تجميع الذهب في خزانتها.

ثانيًا: تغطية نفقاتها التجارية في الصين.

في عام 1781م، بدأت الشركة في شحن الأفيون إلى الصين. ثم اتسع نطاق مبيعات الأفيون على نطاق واسع، وبين عامي 1818 و1833م، ارتفعت حصة الواردات البريطانية إلى الصين من 17% إلى 50% من إجمالي الواردات. وتشير التقديرات إلى أنه تم تداول ما يقرب من سبعة ملايين دولار في كانتون عام 1831، وتم تداول سبعة عشر مليون دولار عبر ميناء لينتون، مع وجود أحد عشر مليون دولار من تلك الدولارات قادمة من الأفيون وحده. استوردت الصين ما يقرب من 40 ألف صندوق من الأفيون عام 1839، وتسرب ما مجموعه 213,899 صندوقًا من الأفيون إلى الصين بين عامي 1820 و1839م، حيث دفع الصينيون مقابل ذلك ما يقدر بنحو 188 مليون دولار أمريكي ومن خلال الاستفادة من حماس الصينيين لاستخدام المخدرات، تمكن البريطانيون من توسيع نطاق نفوذهم في الصين.

كانت الصين مصدرًا رئيسيًا للأفيون. وكان يتم تصدير الأفيون إلى الصين بشكل غير قانوني وغير مباشر. استخدمت شركة جاردين وماتيسون سفنًا مسلحة وتجارًا خاصين مقرهم في مانيلا لتهريب المخدرات عبر لانتون، وهي جزيرة عند مدخل نهر كانتون، بعد أن باعتها الشركة في مزاد علني في كالكوتا بالهند، وفي انتهاك للقوانين الصينية التي تحظر بيع الأفيون للمواطنين الصينيين، دفعت الشركة مبالغ ضخمة للسفن المتجهة إلى الصين خلال موسم إنتاج الأفيون من أجل تعزيز تجارة الأفيون.[9]

ب- بداية العلاقات البريطانية الصينية:

عندما بدأت بريطانيا البحث عن سبل لتعزيز تجارتها الدولية في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر الميلادي، بدأت بالتفاعل مع الصين. كانت الصين من أكبر اقتصادات العالم آنذاك، وكانت الدول الأوروبية، بما فيها بريطانيا، مهتمة بثرواتها من الموارد، بما في ذلك الشاي والحرير والسيراميك. ومع نمو صناعتها، سعت بريطانيا إلى إيجاد أسواق جديدة لسلعها، بدأت في السعي لإقامة علاقات تجارية مع الصين. شكّل المانشو مجموعة من عدة قبائل منغولية استقرت في شمال شرق الصين وبدأت بالسيطرة عليها باقتصاد بدائي قائم على الصيد وتربية المواشي والزراعة.[10]

قد بيّن هذا أن القبائل المنغولية في منشوريا كانت تطمع في السلطة، على الرغم من ترسيخ سلالة مينغ في الصين وبعد توحيدهم عام 1616م، كما أتيحت لهم فرصة ذهبية للدفاع عن أنفسهم ضد الثوار الفلاحين عندما غزت قوات المانشو بكين وسيطرت عليها بعد شهر من انتحار آخر إمبراطور من سلالة مينغ وقد منحهم هذا دورًا أكبر من أي وقت مضى. وبناءً على ذلك، بدءًا من عام 1644م.[11]

احتل المانشو العرش الصيني وتناوبوا على الحكم، حيث هُزمت سلالة مانشو تشينغ على يد القوات البريطانية الغازية، التي كانت حريصة على احتلال الصين من أجل الاستفادة من مواردها الوفيرة. وعلى الرغم من أنها كانت قادرة على الحفاظ على السلام المدني إلى حد ما من خلال ضم مناطق جديدة وتوسيع حدود الصين، إلا أنها لم تكن قادرة على تحديث الصين.[12]

[9] F. Wakeman, (1975), The Fall of Imperial China, New York, pp105-110.

[10] Reardon, James, (2000), Land Use and Society in Manchuria and Inner Mongolia during the Qing Dynasty, Environmental History Vol. 5, No. 4.p: 503.

[11] هو خام، هيلدا (2002م)، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، الطبعة (1) القاهرة، ص257.

[12] فوزي درويش، (1997م)، الشرق الأقصى الصين واليابان، القاهرة، ص 47.

كانت للصين اتجاه نحو تجارة أقل كثافة وعدائية مع عدد من الدول الأوروبية قبل تعرضها للتطلعات الاستعمارية البريطانية. في أوائل القرن الخامس عشر، يُنسب إلى التجار البرتغاليين أخذ زمام المبادرة للتجارة في البحار الإقليمية الشرقية. نزل العديد من رجال الأعمال الأوروبيين من ثلاث سفن برتغالية راسية في ميناء كانتون الصيني عام 1514م.

هاجر الأوروبيون إلى الصين كمبشرين ورجال أعمال، واستقروا في المدن والموانئ الصينية بعد العديد من الإجراءات التحضيرية، أسس التجار البريطانيون شركة الهند الشرقية البريطانية في 31 ديسمبر 1600م، عندما منحتهم الملكة إليزابيث الأولى وضعًا رسميًا وميثاقًا ملكيًا منحهم حقوقًا تجارية حصرية مع الدول الواقعة شرق رأس الرجاء الصالح. دخل الميثاق حيز التنفيذ بعد خمسة عشر عامًا. ونظرًا لأن الملكية البريطانية لم تمنح الشركة سلطة خوض الحروب دون إذن، فقد أعطت الشركة الحق في خوض الحروب والعمل باسم التاج البريطاني، حيث أن منذ اليوم الأول، تعرقلت رحلة الشركة بسبب المخاطر في البر والبحر حيث تنافست بشراسة مع العديد من الشركات الاستعمارية الأوروبية الأخرى.[13]

ازدهرت عمليات الشركة في شرق آسيا، حيث تمكنت في النهاية من إدارة عدد سكان يفوق عدد سكان الجزر البريطانية بعدة مرات، وذلك بفضل الإذن الذي سُمح لها بالتجارة مع جزر الهند الشرقية، كما يوضح ما سبق بوضوح أن شركة الهند الشرقية البريطانية برزت في النهاية كقوة رئيسية وراء التطلعات الإمبراطورية البريطانية في المنطقة ككل. فإن التجارة البريطانية مع الصين لم ترق إلى مستوى التوقعات، من خلال التجارة الصينية مع البرتغاليين والهولنديين.[14]

أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية ثلاث سفن إلى ميناء كانتون في محاولة لإنشاء موطئ قدم قوي للتجارة مع الصينيين، وخاصة في النصف الأول من القرن السابع عشر، كجزء من بحثها عن أفضل الطرق التجارية مع الصين. نزل عدد منهم وبدأوا القتال هناك بعد أن شعروا بالإحباط من تأخيرات الصينيين وقيودهم.[15]

إن حقيقة أن البريطانيين هاجموا الصينيين فقط لأنهم رفضوا الامتثال لطلباتهم تُظهر أنهم كانوا على استعداد لاستخدام القوة العسكرية منذ البداية في محاولتهم للهيمنة وإجبار الصينيين على التجارة معهم. لم يُعطِ البريطانيون الاحتكار البرتغالي للصين اهتمامًا كافيًا لأنهم كانوا مشغولين جدًا بتجارتهم المربحة مع الهند. استمر على هذا الوضع إلى أن تم تنظيم التجارة مع الصين في عام 1699م، بدأت التجارة البريطانية الرسمية مع الصين.

بدأ البريطانيون في التركيز على تقليص السلطة الهولندية في المنطقة، حيث يشير ما سبق ذكره إلى أن البريطانيين، بعد أن رسّخوا وجودهم في المنطقة، اكتشفوا أن طموحهم في الهيمنة على التجارة مع الشرق لا يمكن تحقيقه دون تضمين الصين في مجال نفوذهم الواسع. وهذا من شأنه أن يمنحهم ميزة تنافسية على الدول المنافسة لهم. [16]

[13] Ward, J. R., (1994), The Industrial Revolution and British Imperialism, 1750-1850, The Economic History Review New Series, Vol. 47, No. 1.p:55.

[14] فوزي درويش، (1997م)، الشرق الأقصى الصين واليابان، مرجع سابق، ص 46.

[15] هو خام، هيلدا (2002م) تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، مرجع سابق، ص283.

[16] Pritchard, Earl H., (1957) Private Trade between England and China in the Eighteenth Century (1680-1833), Journal of the Economic and Social History of the Orient Vol. 1, No. 1. p:110.

تطلع البريطانيون إلى ملكهم جورج الثالث (1760-1820م). من أجل تعزيز نشاطهم التجاري في المنطقة وفي الصين على وجه التحديد، لإقناع الإمبراطور الصيني بالانخراط في تجارة أوسع مع أمته، أرسل جورج وفدًا دبلوماسيًا مليئًا بالهدايا. كان رد فعل الأخير غير مواتٍ.[17]

أن الهدف البريطاني كان محاولة السيطرة على التجارة بأي طريقة ممكنة. منذ عام 1786م، قاموا بالتجارة وبيع المنسوجات القطنية إلى الصين.[18]

في جنوب شرق آسيا، برزت بينانغ كأهم قاعدة أمامية لهم ووفقًا لما سبق ذكره، لم يسارع الجانب الصيني إلى التجارة مع البريطانيين لأنهم كانوا يشككون في تطلعاتهم منذ البداية. ويبدو أن ما سبق ذكره كان ناتجًا في الغالب عن الإجراءات الاحتكارية البريطانية في المنطقة. بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بالتقدم. فبعد هزيمة منافسيها البحريين في حروب نابليون بونابرت الأوروبية (1803-1815م).[19]

ج- تأثير حضر تجارة الأفيون على التوسع البريطاني في الصين:

كان لحروب الأفيون تأثيرٌ هائلٌ وطويل الأمد على التوسع البريطاني في الصين، إذ أثّرت على علاقات البلدين، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ على السياسة والاقتصاد الصينيين، وعلى المنطقة ككل. سعيًا للوصول إلى الأسواق الصينية التي كانت محصورةً إلى حدٍّ كبيرٍ بالتجارة الغربية، حيث بدأت بريطانيا توسّعها التجاري في الصين في أواخر القرن الثامن عشر. ورغم حظر الأفيون في الصين لآثاره الضارة على السكان، بدأ البريطانيون ببيعه من مستعمراتهم الهندية إلى الصين، مما لعب دورًا هامًا في هذه التجارة.

اعتمد الإمبراطور الصيني داوجوانج سياسة الحظر الكامل بعد إدراكه للتهديد الذي يمثله الأفيون لسلطته. وقد أقنعه لين تسي هسو، وكيله المسؤول عن التعامل مع مشكلة الأفيون، الذي أخبره أن الأفيون خطير للغاية ويجب تدميره بلا رحمة. كما أكد على أنه كان يُعتقد أن الصين ستستنفد قواتها القادرة على محاربة خصومها والفضة لتمويل قواتها العسكرية في العقود القادمة إذا سُمح للأمور بالاستمرار على ما هي عليه.

عندما وصل لين تسي هسو إلى ميناء كانتون في أوائل مارس 1839م، رأى أن هناك ضغطًا عامًا كبيرًا لاتخاذ إجراءات ضد الأجانب، مما عزز اعتقاده بأنه يجب حظر تجارة الأفيون الخطيرة. وأصدر الأمر بالقبض على تجار الأفيون وتعزيز قوة حماية الساحل. في 18 مارس 1839م، أمر التجار الأجانب بجرد الأفيون الذي احتفظوا به على متن السفن المستلمة لمدة ثلاثة أيام، ومراقبته لإتلافه. وطلب منهم أن يتعهدوا بعدم استيراد الأفيون إلى الصين مرة أخرى. وفي أمر أصدره، قال: "لن أغادر حتى يتوقف تدفق الأفيون". ليس لدي ما أشكو منه، وقد وعدتُ بحل هذه المسألة بما يرضيني.

لولا التدخل البريطاني الواضح، الذي أدى إلى انغماس الصين في ثرواتها الوفيرة، لكانت تصرفات المسؤول الإمبراطوري مشروعة، وربما كانت قد حمت الأمة من الشر الذي هددها. وكما كان متوقعًا، تجاهل البريطانيون اللوائح الصينية الجديدة المتعلقة بالتجارة معهم، مما ساهم في احتدام الموقف بين الجانبين، وخاصة أولئك الذين طالبوا بحظر تجارة الأفيون حظرًا تامًا لأسباب أخلاقية.[20]

[17] Williams, Laurence, (2013), British Government under the Qianlong Emperor's Gaze: Satire, Imperialism, and the Macartney Embassy to China, 1792-1804, the journal Lumen, Volume 32.p. 93.

[18] Chao, Kang, (1979), The Development of Cotton Textile Production in China, Harvard University. p. 86.

[19] -Fisher, Michael H., (1984), Indirect Rule in the British Empire: The Foundations of the Residency System in India (1764-1858), Modern Asian Studies Vol. 18, No. 3. Pp. 395-404.

[20] مجموعة من المؤلفين (1979)، حرب الأفيون، الطبعة (1)، بكين، ص22-26.

بعد أن نجح لين تسي هسو في وقف تجارة الأفيون في مناطق أخرى من البلاد، مُنح صلاحيات استثنائية وواسعة النطاق للقيام بذلك. أمر التجار بتسليم أفيونهم والتعهد بعدم الانخراط في هذه التجارة؛ ومن لم يمتثل واجه عقوبة الإعدام. نجح في إجبار الأجانب على تسليم ما قيمته ستة ملايين دولار من الأفيون، فأحرقه على الفور. صُدم الأجانب بهذا السلوك، الذي اعتبروه مسيئًا، باستثناء البريطانيين الذين رفضوا الامتثال للتوجيه بحظر تجارة الأفيون، قَبِل التجار الأجانب على مضض اللوائح التجارية الصينية. واصلت السفن الأمريكية نقل المنتجات البريطانية إلى ميناء كانتون لفترة من الوقت.

بعد حادثة وقعت في ميناء جيولونغ في 7 يوليو 1839م، حيث اعتدت عصابة من البحارة البريطانيين على العديد من الفلاحين الصينيين، تصاعدت الأحداث بسرعة نحو إعلان بريطانيا الحرب على الصين وكان من الواضح أن لين وي شي، أحدهم، قد أصيب. ثم طلب لين تسي هسو من تشارلز إليوت، الدبلوماسي البريطاني، تسليم المعتدي إلى السلطات الصينية. مع رفضه الالتزام بهذا المطلب، ذهب إليوت إلى أبعد من ذلك وانتهك السيادة الصينية عمدًا بمحاكمته على الأراضي الصينية.[21]

في 3 أبريل 1839م، نصح اللورد بالمرستون، وزير الخارجية البريطاني، بأن أفضل نهج للتعامل مع قضايا الصين هو الهجوم دون سابق إنذار ودون إعلان مسبق عن خططهم.[22]

في أواخر أبريل أو أوائل مايو، أرسل التجار الأمريكيون والبريطانيون 28300 صندوق من الأفيون، أي ما يعادل حوالي 2000 كيس. على سواحل ميناء هومن الصيني، أُحرقت هذه الكميات علنًا من 3 إلى 25 يونيو 1839م.

كانت كل الدلائل تُشير إلى أن بريطانيا كانت على وشك توجيه ضربة قاصمة للصين وإجبارها على الامتثال لمطالبها بعد ذلك. وقد عانى المهربون البريطانيون من انتكاسة خطيرة نتيجة مبادرات لين تسي هسو الإصلاحية. وفي محاولة لإحباط هذه التكتيكات، وجّه تشارلز إليوت سفن تجارة الأفيون عند مصب نهر اللؤلؤ للإخلاء والاستعداد للصراع الحاسم الوشيك مع الصينيين.

أوقف لين تسي هسو إمداد البريطانيين في أغسطس/آب 1839م. ثم، في 5 سبتمبر/أيلول 1839م، الساعة الثانية ظهرًا، أمر تشارلز إليوت عدة سفن بريطانية بإطلاق النار على ثلاثة زوارق دورية بحرية صينية بالقرب من جيولونغ، مستخدمًا الاستفزاز المسلح.

في الأول من أكتوبر عام 1839م، اتخذ مجلس الوزراء البريطاني قرارًا بخوض بريطانيا حربًا مع الصين. وفي فبراير عام 1840م، عُيّن الأدميرال جورج إليوت مبعوثًا كامل السلطة، بينما شغل تشارلز إليوت منصب نائبه. وكان هدفهم الرئيسي هو استخدام الأساليب الدبلوماسية والعسكرية لابتزاز القيادة الصينية. وتحت قيادة الأدميرال جورج إليوت، نظمت الحكومة البريطانية قوة قوامها 4000 جندي، و20 سفينة إمداد، وأربع سفن بخارية مسلحة، و16 سفينة حربية مزودة بـ 540 مدفعًا في أبريل عام 1840م.[23]

إن من المهم الإشارة إلى أنه نتيجة لمحاولات الحكومة البريطانية الدؤوبة لتحسين العلاقات مع الصينيين، نما عدد سكان البلاد بشكل كبير، من 178 مليون نسمة عام 1749م إلى ما يقرب من 359 مليون نسمة عام 1811م، لا سيما بعد انتقال سكان مقاطعتي هوبي وهونان المزدحمتين إلى هناك. وسرعان ما

[21] فوزي درويش، (1997م)، الشرق الأقصى الصين واليابان، مرجع سابق، ص50.
[22] علي صالح حمدان حامد، (2022م)، التكالب الاستعماري البريطاني على الصين وأثره في تطور العلاقات بين البلدين (1842-1839)، جامعة زاخو / كلية العلوم الإنسانية، ص167.
[23] مجموعة من المؤلفين (1979)، حرب الأفيون، مرجع سابق، ص27-30.

بدأ الوافدون الجدد يفوقون عدد السكان المحليين وبعيداً عن الرغبة المتزايدة للدول الأوروبية في الاستحواذ على ثرواتها، فإن النمو السكاني كان في واقع الأمر قضية مهمة بالنسبة للحكومة الصينية.[24]

يمكن الاستنتاج أن السياسة الخارجية البريطانية تجاه الصين في ذلك الوقت اتسمت برغبة أكيدة في الاستعمار، وكان أوضح الأمثلة على ذلك الاستبداد والظلم. ويبدو أن لندن كانت تولي اهتمامًا بدوائرها الاستعمارية في الشرق، التي أعطت الأولوية للأعمال التجارية فوق كل العوامل الأخرى، واستهدفت بشكل رئيسي مصير الصين ومصيرها. وأُغلقت أبوابها بالقوة، مما حال دون تسلل النفوذ البريطاني بشكل خاص، والنفوذ الغربي بشكل عام.

المبحث الثاني: حروب الأفيون الأولى والثانية وتداعياتها:

- تمهيد:

كانت الصين، إحدى أكبر اقتصادات العالم في بداية القرن التاسع عشر، تعتمد على نظام تجاري صارم، فرض قيودًا شديدة على التفاعلات مع الدول الأخرى، وخاصة الأوروبية كانت هناك تجارة نشطة بين الصين وبريطانيا، لكنها لم تكن عادلة. لم تكن الصين بحاجة كبيرة للسلع البريطانية، بينما اعتمدت بريطانيا بشكل رئيسي على استيراد الشاي والحرير والخزف الصيني. ونتيجة لذلك، عانت بريطانيا من خلل كبير في الميزان التجاري. استخدمت بريطانيا شركة الهند الشرقية البريطانية لبيع كميات هائلة من الأفيون إلى الصين لتعويض هذا النقص، مما أدى إلى عدم استقرار اجتماعي واقتصادي حاد، فضلًا عن انتشار الإدمان بين الشعب الصيني.

حاولت الحكومة الصينية، بقيادة الإمبراطور داوغوانغ، فرض لوائح صارمة لوقف هذه التجارة استجابةً لهذا الخطر المتزايد. أصدر المسؤول الصيني لين زيكسو قوانين صارمة لمكافحة الأفيون، وفرض غرامات قاسية على مهربي الأفيون، وأمر بالتخلص من كميات كبيرة منه. استاءت بريطانيا من هذه الإجراءات واعتبرتها اعتداءً على مصالحها الاقتصادية. شنت حرب الأفيون الأولى ضد الصين عام 1839م. وأجبرت معاهدة نانكينغ، التي وُقِّعت عام 1842م بعد هزيمة الصين في هذا الصراع، الصين على تقديم عدد من التنازلات المهمة، بما في ذلك التنازل عن جزيرة هونغ كونغ لبريطانيا، وفتح موانئ جديدة للتجارة الدولية، ودفع تعويضات مالية ضخمة.

بدلاً من تخفيف التوترات بين الصين وبريطانيا، أدت هذه الحرب إلى تفاقم تدخل القوى الأجنبية في الشؤون الصينية، مما أشعل فتيل حرب الأفيون الثانية عام 1856م، حيث تعاونت بريطانيا مع فرنسا لزيادة نفوذها وفرض شروط أكثر صرامة على الصين. ومع توقيع اتفاقيات إضافية مثل معاهدة تيانجين ومعاهدة بكين، التي منحت القوى الأوروبية المزيد من المزايا وعززت الحكم الغربي على الصين، انتهى هذا الصراع عام 1860م.

كانت حروب الأفيون أكثر من مجرد مواجهات عسكرية بين الصين وبريطانيا؛ لقد مثّلت هذه الصراعات نقطة تحول مهمة في تاريخ الصين المعاصر، إذ أضعفت الحكومة الصينية وأجبرتها على توقيع سلسلة من المعاهدات الجائرة التي سمحت لدول غربية أخرى، بما فيها الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا، بالتدخل.

[24] Deng, Kent, (2015), China's Population Expansion and Its Causes during the Qing Period, 1644-1911 Economic History Working Papers London School of Economics. p:18.

أ- الأسباب الاقتصادية لحروب الأفيون:

كانت الصين شبه مستعمرة من قبل الدول الغربية لمدة قرن تقريبًا، من عام 1842م إلى عام 1943م. سلطت معاهدة نانجينغ في عام 1842م الضوء على هزيمة الصين في حرب الأفيون الأولى وأجبرت الصين على فتح عشرات المدن للتجار الغربيين (ما يسمى بموانئ المعاهدات) مما أدى إلى نهاية مفاجئة لقرون تطورت فيها الصين في عزلة نسبية عن الغرب. عكس الغرب سياسة الصين التجارية، وألغى النظام القانوني الصيني، وأجرى تغييرات واسعة النطاق أخرى بعد حرب الأفيون، لكن الآثار الاقتصادية لهذا النقل للمؤسسات الغربية إلى الصين لا تزال مثيرة للجدل، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى نقص البيانات. باستخدام نهج إقليمي، مع موانئ المعاهدات ومحطات الجمارك والقنصليات كنقاط نفوذ غربي.[25]

نكتشف آثارًا جوهرية تتجاوز بكثير موانئ المعاهدات من الآثار الاقتصادية لخسارة الصين في حرب الأفيون. على عكس ما زعمه باحثون غربيون سابقون بأن تأثير الوجود الغربي في الصين كان محدودًا ومقتصرًا على الموانئ. وتُقوّض هذه النتائج الحجج القائلة بأن حرب الأفيون (1839-1842م) ساعدت الدول الغربية وحدها وتسببت في خسائر اقتصادية فادحة للصين، وأوضحنا كيف عزز التدخل الغربي تدفق الشركات الأجنبية والتكنولوجيا الجديدة والسلع الدولية إلى الصين. وعند مقارنة المناطق ذات الموانئ المعاهدة بتلك التي لم تتأثر مباشرةً بالغرب، نجد أن المناطق ذات النفوذ الغربي الأكبر شهدت معدلات أعلى لتوسع الشركات الصناعية واستثمارات أكبر في المحركات البخارية والمعدات المتطورة. وتدعم هذه النتائج القلق من أن الدول الغربية اختارت فقط المناطق الواعدة. واستنادًا إلى دراسة اقتصادية قياسية، خلصنا إلى أن النفوذ الغربي مسؤول عن تطوير مناطق الموانئ المعاهدة في الصين.

أدى النفوذ الغربي إلى انخفاض كبير في أسعار الفائدة المحلية، ويعود ذلك في الغالب إلى تحسن الوضع الأمني وانخفاض المخاطر. نجد أن تعزيز الأمن وانخفاض المخاطر أديا إلى تداعيات مكانية وانخفاض في أسعار الفائدة حتى خارج المدن المُصنّفة كموانئ معاهدات. كانت أسعار الفائدة أقل بنسبة تزيد عن 25% في الموانئ المعاهدة والمنطقة الجغرافية المجاورة للهيمنة الغربية، حيث كان التأثير أكثر وضوحًا. أدى إنشاء ميناء معاهدة إلى خفض أسعار الفائدة بنحو 10%، حتى على مسافات 450 كيلومترًا. لا نجد دليلًا على إعادة توزيع إقليمية كبيرة، على الرغم من أن هذه التقديرات تخص المناطق المتأثرة مقارنةً بالمناطق غير المتأثرة. لا شك أن غزو الغرب للصين خلال حرب الأفيون الأولى كان له تأثير كبير على جزء كبير من الصين إذا ما أُخذت في الاعتبار التداعيات الجغرافية للنفوذ الغربي.[26]

لا يوجد دليل يُذكر على اختلاف الاتجاهات السابقة بين المناطق المتأثرة بالغرب وتلك غير المتأثرة به، ولا على تأثر عوامل المعالجة بنفس السمات غير الملحوظة المفيدة للنجاح الاقتصادي. تُظهر تقييمات المتانة أن الكيانات غير الحكومية مثل المبشرين أو الدول غير الغربية مثل روسيا واليابان ليست مسؤولة عن النتائج، كما يُفحص في هذا البحث العمليات الرئيسية للتأثير الغربي في الصين، حيث كان صعود الشركات الصناعية واستخدام الآلات أكبر في محيط الموانئ. وتشير النتيجة إلى أن التكنولوجيا انتشرت عبر الاستثمار الأجنبي المباشر نظرًا لوجود غالبية الشركات الغربية هناك. استنتاج آخر هو أن مزايا الاقتصاد الصيني كانت أكبر وامتدت جغرافيًا من الموانئ التي تعاملت مع جزء أكبر من صادرات الصين والتجارة الدولية الأخرى. وهذا يعني أن مزايا الاقتصاد الصيني قد سُهّلت من خلال التقدم في الوصول إلى الأسواق الدولية.[27]

[25] Wolfgang Keller Carol H. Shiue, (2023), THE ECONOMIC CONSEQUENCES OF THE OPIUM WAR, NATIONAL BUREAU OF ECONOMIC RESEARCH, p. 2.

[26] Wolfgang Keller Carol H. Shiue, (2023), THE ECONOMIC CONSEQUENCES OF THE OPIUM WAR, Previous reference, p.36.

[27] Acemoglu, Daron, Simon Johnson, and James Robinson (2005), "Institutions as a Fundamental Cause of Long-run Growth", Handbook of Economic Growth Vol. 1A, Elsevier, pp.86-472.

ارتبط انخفاض أسعار الفائدة في الصين في الغالب بالوجود القانوني للغرب في قنصلياته، وليس في موانئ التجارة، على عكس تركيز توسع الأعمال الصناعية حول موانئ المعاهدات. كان من المتوقع أن تزداد أهمية موانئ المعاهدات إذا أدى الاستثمار الأجنبي المباشر الغربي في الصين إلى زيادة كبيرة في المعروض الرأسمالي الإقليمي. تشير الأهمية المتزايدة للقنصليات إلى أن الأنظمة القانونية الغربية حسّنت الأمن وقللت من مخاطر المعاملات، مما أفاد الأسواق المالية الصينية. إن اكتشاف أن تخفيضات أسعار الفائدة تكون أكبر في المناطق التي تُمارس فيها الحقوق الخارجية الغربية بقوة أكبر يُقدم دليلاً إضافياً.

نكتشف أن للنفوذ الغربي تأثيراً سلبياً على قدرة الدولة الصينية. فقد ثبت أن وجود الغربيين في المنطقة المحيطة بموانئ المعاهدات يزيد من مظاهرات الجمعيات السرية، والتي يمكن تمييزها عن أنشطة الميليشيات. ولأن القوات الغربية كانت مستعدة للدفاع عن ممتلكات (وأرواح) الغرب ضد الأعمال المسلحة، لم يحدث نشاط للميليشيات. لم تكن الجمعيات السرية التي ازدهرت في الصين في القرن التاسع عشر مصدر قلق مباشر للغرب، على عكس احتواء الميليشيات. إن تراجع قدرة تشينغ على إنفاذ قوانينها، والتي كانت قد قوّضت بالفعل بفعل تدخل المؤسسات الغربية، ينعكس في تنامي مظاهرات الجمعيات السرية، مما يُثقل كاهل الاقتصاد الصيني. وبينما أثّرت مشاركة الغرب على الاقتصاد الصيني بتقليص قدرة الدولة، إلا أن المؤسسات التجارية والقانونية الغربية، بشكل عام، ساعدت الاقتصاد الصيني بخفض أسعار الفائدة وتعزيز التصنيع.[28]

أظهرت دراسات عديدة أن المؤسسات تؤثر بشكل كبير على الأداء الاقتصادي، وأن نقل المؤسسات الغربية تحديدًا قد يكون له آثار اقتصادية إيجابية كبيرة (نورث 1990، أسيموغلو، جونسون، وروبنسون 2005م). في الوقت الحالي، توجد معلومات متضاربة حول الصين في أواخر عهد الإمبراطورية. أن دراسات حالة مثل سو ومايرز (2013م) تسلط الضوء على فوائد المؤسسات الغربية، إلا أنها لا تقدم دراسة تجريبية شاملة. أن جيا (2014م) يشير إلى أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في مناطق الموانئ المعاهدة السابقة قد ارتفع، إلا أنه يستبعد المؤسسات الاستعمارية الغربية كعنصر مساهم. باستخدام بيانات حديثة، نوضح أنه خلال القرن التاسع عشر، كان للمؤسسات الغربية تأثير كبير على اقتصاد الصين، ولم تكن جميعها مواتية، يكمن مفتاح التمييز بين قنوات خفض المخاطر للمؤسسات والتحديث العام في نهجنا لتكلفة التخزين في أسواق رأس المال. يقارن ليفين ولين وما وشو (2022) الامتيازات البريطانية والفرنسية في شنغهاي لدعم منظور الأصول القانونية للمؤسسات.

يبدو أن نجاح الصين خلال فترة الانفتاح التي أعقبت إصلاحات دنغ شياو بينغ عام 1978م، والتي شملت فتح الحدود بشكل أكبر وتغييرات سياسية أخرى، قد تنبأت به التطورات التي أعقبت حرب الأفيون. فعلى مدى عقود عديدة، تمكنت الصين من الحفاظ على معدلات نمو للفرد تصل إلى 5% سنويًا. وفي أوائل ثمانينيات القرن الماضي، تم تحديد أربع عشرة مدينة ساحلية كمناطق تنمية اقتصادية وتقنية (ETDZs) حيث مُنحت الشركات الأجنبية وضعًا تفضيليًا وجرى التركيز على التجارة. وبالنظر إلى تاريخ البلاد في تقسيم النشاط الاقتصادي إلى مناطق محلية وأجنبية خلال حقبة موانئ المعاهدات - حيث كانت جميع هذه المناطق الأربع عشرة موانئ معاهدات أو مدنًا قريبة من موانئ معاهدات سابقة - فإن هذه الابتكارات المؤسسية التي تبدو غير تقليدية تبدو أقل حداثة. وإذا ما ذهبنا أبعد من ذلك، فإن هذه العوامل تشير إلى أن حرب الأفيون تُمثل بداية التاريخ التجاري الحديث للصين، والذي حدث قبل أكثر من قرن من إصلاحات الانفتاح عام 1978م.[29]

[28] Allen, Robert C., Jean-Pascal Bassino, Debin Ma, Christine Moll-Murata, and Jan Luiten Van Zanden (2011), "Wages, prices, and living standards in China, 1738-1925: in comparison with Europe, Japan, and India", Economic History Review 64, S1, pp. 8-38.

[29] Feyrer, James, Erin Mansur, and Bruce Sacerdote (2020), "Geographic Dispersion of Economic Shocks: Evidence from the Fracking Revolution: Reply", American Economic Review 110(6), pp: 1914-20.

ب- حرب الأفيون الأولى (1839-1842م) ومسارها:

هاجمت شركة الهند الشرقية البريطانية الساحل الصيني، واستولت على كانتون وشانغهاي وأموي تينجيو، دون انتظار أي محادثات مع الجانب الصيني. كما طالبوا بدفع ثمن الأفيون الذي استولوا عليه وبدأوا في إطلاق مدافعهم على السفن الصينية، مما أدى إلى غرق العديد منها.[30]

انتهكوا المقدسات الصينية بسرقة وقتل المواطنين مع تسلل الجنود البريطانيين إلى الأمة، ووفقًا للمؤرخ بانيكار، الذي يقتبس من جمهورية صرب البوسنة الصينية، زارت مجموعة من الضباط البريطانيين وغيرهم برج البورسلين بالفؤوس والأزاميل والمطارق وارتكبوا عمدًا أعمالًا وحشية بقطع كتل كبيرة منه كانوا يحملونها معهم، مما تسبب في أضرار جسيمة. خسرت الصين حرب الأفيون الأولى، بسبب سوء تقديرها لقوة الأسطول البريطاني في البحر، وافتقارها إلى منظمة مقاومة وطنية موحدة، وافتقارها إلى الأسلحة الحديثة، كما كانت معروفة في التاريخ، اضطرت إلى قبول معاهدة مهينة عرفت باسم معاهدة تانغ كينغ، والتي تم توقيعها في 29 أغسطس/ 1842م.[31]

تتكون المعاهدة من 13 بندا أهم ما جاء فيها:

1. دفع تعويضات حرب كبيرة لتعويض خسائر الحرب وتكلفة الأفيون الذي دمره لين تسي هسيو. وكان مبلغ التعويض المتوقع واحدًا وعشرين مليون دولار أمريكي.
2. استسلام هونغ كونغ للبريطانيين، مما حوّلها إلى قاعدة اقتصادية وسياسية وعسكرية بريطانية.
3. فتح كانتون، وشانغهاي، وأموي، وتينغيو، وفوتشو، وهي خمسة موانئ مهمة للتجارة البريطانية. وهناك، كان الرعايا البريطانيون أحرارًا في العيش والعمل.
4. استخدام محاكم بريطانية خاصة لمحاكمة الرعايا البريطانيين.
5. أن لايشمل القانون الصيني الرعايا البريطانيين.
6. تطبيق بريطانيا لمبدأ "أسبقية الوصول". حصلت بريطانيا على جميع الحقوق الممنوحة للدول الأخرى، كما وعدت الصين بألا تتجاوز ضرائب الاستيراد على المنتجات الأجنبية 5% من قيمتها.[32]

لم يُصِف مصطلح "حرب الأفيون"، الذي استُخدم لوصف الصراع الصيني البريطاني الذي استمر من عام 1839م إلى عام 1842م، سوى الأسباب المباشرة لهذه الأحداث بدقة. كانت سياسة عزلة الصين، التي شملت رفضها الانفتاح على العالم الخارجي، واستبعادها من التجارة مع الغرب، ورفضها القاطع لتبادل التمثيل الدبلوماسي مع بريطانيا، الحدث الأهم الذي ساهم في توتر الوضع الذي سبق قضية تجارة الأفيون.[33]

أرسلت الحكومة البريطانية مبعوثين إلى الصين كما استقبل الإمبراطور الصيني لونغ اللورد ماكاروني عام 1793م، لكن الإمبراطور رفض اقتراحاته. بذل اللورد أمهرست جهدًا لتحسين العلاقات بين البلدين عام 1819م أيضًا، لكن نتائجه لم تكن أفضل من نتائج سلفه. في عام 1833م، بُذلت نفس الجهود للمرة الثالثة دون جدوى. تغير الوضع في الصين نتيجةً لارتفاع شحنات الأفيون البريطانية. بعد أن منحت الحكومة البريطانية شركة الهند الشرقية احتكارًا لبيعه، تحول الأفيون إلى كارثة اجتماعية حقيقية. استخدمت الشركة كانتون لإغراق جنوب الصين بالأفيون حوالي نهاية القرن الثامن عشر.[34]

[30] Rhoads Marphry, (1977), The Outsiders, The Western Experience in India and China, Michigan, p:70.

[31] ك.م. بانيكار، (1968م)، أسيا والسيطرة الغربية، مرجع سابق، ص 135.

[32] Wakeman, (1975), The Fall of Imperial china, Previous reference, pp: 115-116.

[33] فوزي درويش، (2001م) الشرق الأقصى، الصين، اليابان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص49.

[34] نفس المرجع سابق، ص 49، 50

أن الحكومة الصينية بذلت العديد من الجهود الشاقة لحظر هذه التجارة، إلا أن أحكامها لم تُنفذ أبدًا. استمرت التجارة على الرغم من المزيد من الحظر عليها (1789) (1809م). أعلن البرلمان الإنجليزي في عام 1833م أنه لن يمدد امتياز شركة الهند. ومن أجل إثارة أي مشاكل أمام الحكومة البريطانية مباشرة، أوقفت الشركة عملياتها في الصين وفقدت مكانتها كوكيل رسمي للتجارة والمصالح البريطانية في كانتون. حل التاج البريطاني محلها. [35]

كان اللورد نابير وتشارلز ليوت أول قائدين لهذا المنصب. ومن أجل الدفاع عن المصالح البريطانية، أعادا تأكيد دعواتهما لتحرير التجارة. ولكن رُفضت طلباتهما، وتدهورت العلاقة بين البلدين. ازدادت التوترات بين البلدين نتيجة رفض بريطانيا الالتزام بالقانون الصيني، مما أدى في النهاية إلى عمل عسكري عام 1835. اقترحت السلطات البريطانية هذا الإجراء. زاد وجود لين في الميناء لإدارة إمدادات الأفيون الأمور سوءًا. فقد جعل جميع الأجانب يتعهدون بعدم الانخراط في هذه التجارة وتسليم أي أفيون يملكونه. وسيتم تطبيق عقوبة الإعدام على أي شخص يخالف هذا التوجيه. وعندما أعطوه الأفيون الذي بحوزتهم، قام بإتلافه على الفور، وباستثناء البريطانيين، الذين رفض مديرهم التجاري، الكابتن ليوت، اتباع التعليمات وطلب منهم مغادرة كانتون، فقد اعتُبرت هذه الخطوة استفزازية.[36]

قُتل رجل صيني في اضطرابات قام بها عدد من البحارة البريطانيين، مما أشعل الصراع. وأمرت الحكومة الصينية السلطات البريطانية بتسليم البحارة المعتدين. وهددت السلطات الصينية باستخدام القوة ضد السفن البريطانية أو إجبارها على مغادرة الميناء عندما رفض المسؤولون البريطانيون. ورأت بريطانيا فرصة لفرض قواعد على الصين. اندلع تبادل لإطلاق النار بين السفن الصينية والبريطانية في 3 نوفمبر 1839. وبدأت حرب الأفيون الأولى (1839-1842م) بهذه الحادثة.[37]

قالت بريطانيا إن عداء الصين لمفهوم التجارة الحرة وسوء معاملتها للتجار الدوليين هما السببان الجذريان للصراع. كما نبع الصراع من غطرسة الحكومة الصينية ورفضها استقبال ممثليها والعقبات التي وضعتها الحكومة الصينية أمام المندوبين البريطانيين والضرائب الباهظة والمحاكم المنشأة بموجب القانون الصيني لعرقلة التجارة المشروعة. [38]

سيطرت بريطانيا على المدن الساحلية الصينية، ونشرت قوات على طول الساحل، واستولت على مدن على الساحل الشرقي للبلاد، بما في ذلك كانتون وشانغهاي وأموي ونينغبو.[39]

تُعتبر هذه الحرب واحدة من أهم الأخطاء في السياسة البريطانية في شرق آسيا لأن بريطانيا، التي ادعت أنها المدافعة عن القانون، حاولت فرض تجارة الأفيون غير المشروعة بينما زعمت أنها خاضت الحرب لبناء علاقات دبلوماسية مع الصين بدلاً من الدفاع عنها.[40]

[35] عفاف مسعد العبد، (2009م)، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، سويتر, الاسكندرية, ص 46.
[36] فوزي درويش، (2001م)، الشرق الأقصى، الصين، اليابان، مرجع سابق، ص 50-52، جلال يحي الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، (1985م) دار المعارف، ص43، محمد علي القوزي حسان حلاق تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 87.
[37] نفس المرجع سابق، ص 52.
[38] عفاف مسعد العبد، (2009م)، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص 49، انظر، محمد علي القوزي، (2001م) حسان حلاق تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص 88.
[39] عفاف مسعد العبد، (2009م)، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص 49، انظر ميلاد المقرحي، (1999م)، موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، شركة لجا، فاليتا مالطا، ص 34.
[40] ميلاد المقرحي، (1997م)، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، شرق آسيا، الصين اليابان، كوريا، منشورات جامعة قاريونس -بنغازي - الطبعة الأولى - ص 38.

المبحث الثالث: حرب الأفيون الثانية (1856-1860م) وتوسع النفوذ الأجنبي:

شعرت الصين بتحررها من القيود الاستعمارية بتوقيع معاهدة نانكينغ عام 1842م، التي أنهت حرب الأفيون الأولى. لكنها اكتشفت أن الدول الغربية، وخاصة فرنسا وبريطانيا، تفرض عليها مطالب متزايدة. لم تكتفِ كلتا الدولتين بإنجازاتهما، وسعتا إلى تعزيز نفوذهما العسكري والدبلوماسي في الصين. اندلعت حرب الأفيون الثانية، التي كانت أكثر دموية بكثير من الأولى، من هذه التوترات. وشملت تداعياتها تحولات سياسية واجتماعية أثرت على سيادة الصين لعقود، مع فرض ظروف اقتصادية جديدة.

بدأت الدول الأوروبية، بقيادة بريطانيا، محادثات أخرى مع الحكومة الصينية في عام 1854م من أجل تعديل معاهدة نانكينغ وتحقيق أهداف إضافية، وشملت هذه الأهداف:[41]

1. القدرة على دخول أي منطقة من الإمبراطورية دون قيود.
2. حرية الحركة في نهر اليانغتسي.
3. إقامة علاقات دبلوماسية مباشرة مع بكين.
4. جعل تجارة الأفيون والخنازير - وهي كلمة تُستخدم للإشارة إلى العمال الصينيين - قانونية.[42]

تسبب رفض الصين لقيود الأفيون والخنازير في انهيار المناقشات. كان الأوروبيون يدركون أن الصينيين سيرفضون البند الأخير بسبب انتهاكه لكرامتهم. وهكذا، انتهزت بريطانيا وشريكتها فرنسا الفرصة لشن حرب أخرى ضد الصين في محاولة لتحقيق أهدافهما بالقوة. وقد تحقق ذلك في 8 أغسطس 1856م، عندما استولى منغ تشن، نائب الإمبراطور، على سفينة "السهم" في قوانغتشو. كانت السفينة مملوكة لرجل صيني يدعى سوواه تشنغ، الذي كان يعمل تحت الحماية البريطانية بسبب أنشطة غير قانونية قام بها بعض الصينيين وكان ينقل أشخاصًا مطلوبين من قبل السلطات.[43]

بعد انتهاء الصراع، بدأت تلك الدول بانتظار الصين واستخدام القوة لتهديدها. وعندما احتُجز المبشر الكاثوليكي الفرنسي ورفاقه وأُعدموا بتهمة التمرد وانتهاك حرمة القانون الصيني، سنحت لفرنسا الفرصة المثالية. وقد أثار هذا الموقف مشاعر الفرنسيين وعندما اعتقل المسؤولون الصينيون وفتشوا السفينة البريطانية "واركا أرو" في ميناء كانتون للاشتباه في إيوائها قرصانًا صينيًا، استغلت بريطانيا الموقف. وبعد اعتقال البحارة الصينيين، الذين كانوا محميين بموجب القانون البريطاني، اعتبرت بريطانيا ذلك إهانة لعلمها.[44]

قاومت السلطات الصينية مطالب بريطانيا بالإفراج عنهم والاعتذار عما حدث. تسبب رفض الصين تشريع الأفيون والخنازير في انهيار مفاوضات الطرفين. كان الأوروبيون يدركون تمامًا أن الصين ستتعرض للدمار إذا قبلت هذا البند. كما انتهزت بريطانيا وشريكتها فرنسا الفرصة لشن حرب أخرى على الصين سعيًا لتحقيق أهدافهما بالقوة. في عام 1856م ميلادي، تحقق ذلك. قُصف مقر الحاكم يي، واستولى على الحصون المدافعة عن كانتون. في اليوم التالي من القتال، الموافق 25 ديسمبر 1857م، أُسرت كانتون بعد قصفها. توفي يي أسيرًا في الهند بعد إلقاء القبض عليه أثناء محاولته الفرار. استسلمت معاقل تاكو، التي كانت تُعتبر مواقع دفاعية منيعة ضد المدفعية الغربية، بعد أن نقل البريطانيون والفرنسيون ساحة المعركة إلى أقرب الموانئ إلى بكين. كانت معاهدة سلام وتوقيع معاهدة جديدة غير عادلة، معاهدة تيانسان (1858م) نتيجة هذا الصراع، المعروف تاريخيًا باسم حرب الأفيون الثانية. **تضمنت هذه المعاهدة الأحكام التالية:**

[41] ك.م. بانيكار، (1968م)، أسيا والسيطرة الغربية، مرجع سابق، ص 139.
[42] Tsi C. Wang, (1922), The Youth Movement in China, London, pp.176-188.
[43] Rhoads Marphry, (1977), The Outsiders, The Western Experience in India and China, Previous reference, pp. 125-130.
[44] فوزي درويش، (2001م) الشرق الأقصى، الصين، اليابان، مرجع سابق، ص57.

1. كانت تجارة الأفيون قانونية.
2. القدرة على السفر بحرية عبر الصين في رحلات تبشيرية ومشاركة آرائهم.
3. إدخال موانئ جديدة للتجارة الدولية على ضفاف نهر اليانغتسي.
4. ترحيب حار بالدبلوماسيين من أوروبا.
5. تطبيق عقوبات صارمة على الصين.
6. تطبيق ضريبة جمركية موحدة لا تتجاوز 5,2٪ على التجارة الدولية داخل الصين.
7. منح بريطانيا قطعة أرض قبالة جزيرة هونغ كونغ.[45]

بدأ الجيشان البريطاني والفرنسي المشتركان صراعًا عسكريًا جديدًا وتقدما إلى بكين بعد فشل الحكومة الصينية في تنفيذ الاتفاق. نهبوا وسلبوا مدينة بكين، وهدموا قصر الإمبراطور، وهو تحفة فنية رائعة. هرب الإمبراطور، تاركًا شقيقه كوانغ لمواجهة الغرباء.

كانت اتفاقية بكين، التي وُقّعت عام 1860م، نتيجة لقدرة كوانغ على التوصل إلى اتفاق مع الجنود الأوروبيين. **وقد اشترطت الاتفاقية ما يلي:**

1. ضمان حق البعثات الدبلوماسية البريطانية والفرنسية في بكين في الإقامة هناك.
2. ضم كاولون إلى القاعدة البريطانية في هونغ كونغ.
3. معاملة الوزراء الأوروبيين والأمريكيين على قدم المساواة مع الوزراء الصينيين.
4. السماح للتجار الأوروبيين بممارسة الأعمال التجارية داخل الصين دون الحاجة إلى دفع ضريبة عبور.
5. استيلاء روسيا على أجزاء من شمال شرق الصين.
6. شراء روسيا امتيازات تجارية في الصين.

اضطرت حكومة المانشو إلى دعم القوات الأجنبية، فتعاونت لإنهاء تمرد تايبينغ. كان من بين مطالب إدارة المانشو أن توفر الحكومة البريطانية الأسلحة والذخيرة الحديثة اللازمة لمحاربة متمردي تايبينغ. خدم السير جوردون وقادة بريطانيون آخرون في جيش المانشو، وأصبحت الصين موقع اختبار للأسلحة الأوروبية المعاصرة.

قمعت حكومة المانشو تمرد تايبينغ بمساعدة القوات الأوروبية. قسمت الدول الأوروبية مناطق نفوذها في الشرق الأقصى، وأنشأت صناعات وبنوكًا، وحصلت على امتيازات تعدين في محاولة لإرسال الأموال إلى الصين. أجبرت بريطانيا الصين على التنازل عن حقوقها في نيبال باحتلال بورما وتركيز مطالبها في جنوب الصين. في عام 1858م، رسّخت فرنسا وجودها في جنوب الصين بعد احتلالها فيتنام، وأجبرت روسيا الصين على استئجار ميناء بورت آرثر.

تعرّضت الصين للخسارة والإذلال على يد الغرب وروسيا، وتنامى النفوذ الاستعماري فيها. وأصبحت البلاد بؤرةً للاستغلال والنهب نتيجةً لجهود التغلغل المكثفة التي بذلتها المصالح الاستعمارية

[45] فوزي درويش، (1972م) الشرق الأقصى، الصين اليابان، مرجع سابق، ص57-58, جلال يحيي، (1985م) الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص58-59، عفاف مسعد العبد (2009م) دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص56-57، محمد علي القوزي حسن حلاق (1985م) تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص90-91.

البريطانية والفرنسية والروسية والأمريكية واليابانية. وأسّست الصين عهدًا جديدًا من العلاقات مع الغرب خلال حربي الأفيون الأولى والثانية، وافتتاح الموانئ الصينية. [46]

- منهجية البحث:

أولًا: منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يُستخدم في دراسة الأحداث والوقائع التاريخية من خلال تحليل أسبابها وتطوراتها ونتائجها. يتم تطبيق هذا المنهج لتتبع مظاهر التغلغل الإنجليزي في الصين خلال القرن التاسع عشر، مع التركيز على حروب الأفيون الأولى والثانية، ودراسة التداعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عنها. كما يتم توظيف المنهج الوصفي لفهم طبيعة العلاقات بين الصين والقوى الاستعمارية في تلك الفترة.

ثانيًا: أدوات البحث:

تعتمد الدراسة على تحليل النصوص التاريخية والمصادر الأولية والثانوية، بما يشمل المعاهدات الموقعة بين الصين وبريطانيا، والمراسلات الدبلوماسية، والتقارير الغربية والصينية التي توثق تطورات الأحداث. كما يتم استخدام التحليل النقدي لمحتوى الوثائق الرسمية والمذكرات التاريخية لتفسير السياسات البريطانية في الصين.

ثالثًا: مصادر جمع البيانات:

1. **المصادر الأولية** :المعاهدات المبرمة بين الصين وبريطانيا مثل معاهدة نانكين (1842م) ومعاهدة تيانجين (1858م) ومعاهدة بكين (1860م) إضافةً إلى المذكرات الدبلوماسية والخطابات الرسمية.
2. **المصادر الثانوية:** الدراسات الأكاديمية، والكتب التاريخية، والمقالات البحثية التي تناولت الاستعمار البريطاني في الصين وتأثير تجارة الأفيون، إضافة إلى الوثائق الصادرة عن المؤسسات التاريخية الصينية والغربية.

رابعًا: عينة الدراسة:

تركز الدراسة على تحليل السياسات البريطانية تجاه الصين خلال القرن التاسع عشر، مع دراسة تأثير هذه السياسات على المجتمع الصيني، من خلال استعراض الأحداث المفصلية مثل نشوب حروب الأفيون، وتفاعل الحكومة الصينية مع هذه التدخلات، والتغيرات التي طرأت على البنية السياسية والاقتصادية للبلاد نتيجة لهذه الصراعات.

خامسًا: أساليب التحليل:

يتم تحليل البيانات باستخدام المنهج المقارن، من خلال دراسة تطورات النفوذ البريطاني في الصين قبل وبعد حروب الأفيون، مع التركيز على انعكاساتها على السيادة الصينية. كما يتم استخدام التحليل الكيفي لاستكشاف تداعيات هذه الحروب على العلاقات الدولية في شرق آسيا، ومدى تأثيرها على تشكل السياسات الصينية تجاه الغرب في العقود اللاحقة.

[46] الدوماني، علي أحمد علي (2017م) حرب الأفيون، جامعة المرقب - كلية الآداب والعلوم بمسلاته, مجلة القلعة، ع 7، ص283-285.

سادسًا: حدود البحث:

تركز الدراسة على الفترة الممتدة من أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن نفسه، وذلك من خلال استعراض الظروف التي أدت إلى التدخل البريطاني في الصين، مرورًا بحروب الأفيون الأولى والثانية، وانتهاءً بالتأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن هذه الحروب. تقتصر الدراسة على تحليل الأوضاع داخل الصين، مع الإشارة إلى السياسات البريطانية التي قادت إلى هذه الحروب، دون التطرق بشكل تفصيلي إلى تأثير هذه الأحداث على السياسة الداخلية لبريطانيا.

- النتائج:

1. تأثر استقلال الصين السياسي بالمعاهدات الجائرة وتراجع السيادة الناجم عن الغزوات الإنجليزية.
2. نتجت اضطرابات اجتماعية واسعة النطاق عن حروب الأفيون، التي تسببت في تدهور الاقتصاد الصيني بسبب تجارة الأفيون.
3. نتج تطور الامتيازات تحت الإدارة الأوروبية عن النفوذ الأجنبي المتزايد الناجم عن هذه الصراعات في الصين.
4. قوضت النكسات العسكرية للحربين الأولى والثانية قوة سلالة تشينغ وعجّلت بسقوطها في نهاية المطاف.
5. اضطرت الصين إلى تنفيذ إصلاحات قسرية نتيجة للتدخل البريطاني والأجنبي الذي غيّر إطارها القانوني والاقتصادي.
6. تأثرت السياسة الخارجية للصين في العقود التالية بتوسع الهيمنة الغربية في شرق آسيا، والتي نشأت عن هذه الصراعات.

- التوصيات:

1. دراسة الآثار التاريخية للمعاهدات الجائرة لمعرفة مخاطر الهيمنة الاستعمارية على السيادة الوطنية.
2. تثقيف الناس حول تاريخ الاستعمار الاقتصادي، وخاصة تجارة الأفيون، لفهم آثاره على الدول والحضارات التي تأثرت به.
3. تشجيع الدراسات التاريخية التي توضح كيفية تعامل الدول القوية مع الدول الضعيفة، وكيف أثرت هذه الأفعال على الأنظمة السياسية.
4. وضع سياسات تحمي استقلال الدول الناشئة اليوم بالاستفادة من تجربة الصين في صد النفوذ الخارجي.
5. دراسات بحثية تقارن بين الاستعمار البريطاني في الصين ودول أخرى لفهم اتجاهات واستراتيجيات النمو الاستعماري.
6. تشجيع التعاون العلمي بين الباحثين الذين يدرسون التاريخ الصيني والعالمي لفهم كيفية تأثير الاستعمار على الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية بشكل أفضل.

- المراجع:

أولاً: المراجع العربية

1. جلال يحي الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، (1985م)، دار المعارف.
2. جهاد صالح العمر وماجد سلمان حسين، (1988م)، حركات التحرر في العالم الثالث، البصرة.
3. الدوماني، علي أحمد علي، (2017م)، حرب الأفيون، جامعة المرقب - كلية الآداب والعلوم بمسلاته، مجلة القلعة، ع 7 .
4. عفاف مسعد العبد، (2009م)، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، سويتر، الاسكندرية.
5. علي صالح حمدان حامد، (2022م)، التكالب الاستعماري البريطاني على الصين وأثره في تطور العلاقات بين البلدين، (1839-1842)، جامعة زاخو / كلية العلوم الانسانية.
6. فؤاد محمد شبل، (1968م)، حكمة الصين، دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور، ج1، مصر.
7. فوزي درويش، (1997م)، الشرق الأقصى الصين واليابان (3)، القاهرة.
8. فوزي درويش، (2001م)، الشرق الأقصى، الصين، اليابان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
9. ك.م. بانيكار، (1968م)، أسيا والسيطرة الغربية، عبد العزيز توفيق جاويد، مصر.
10. مجموعة من المؤلفين (1979)، حرب الأفيون، الطبعة (1)، بكين.
11. محمد علي القوزي حسان حلاق تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
12. ميلاد المقرحي، (1999م)، موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، شركة لجا، فاليتا مالطا.
13. ميلاد المقرحي (1997)، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ـ شرق آسيا الصين ـ اليابان ـ كوريا منشورات جامعة قاريونس ـ بنغازي ـ الطبعة الاولى
14. هو خام، هيلدا (2002م)، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، الطبعة (1) القاهرة.
15. يوسف محمد السلطان عبد علي الخفاف، (1986م)، الجغرافية الإقليمية للقارات، آسيا، أفريقيا، استراليا، البصرة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Acemoglu, Daron, Simon Johnson, and James Robinson (2005), "Institutions as a Fundamental Cause of Long-run Growth", Handbook of Economic Growth Vol. 1A, Elsevier.
2. Allen, Robert C., Jean-Pascal Bassino, Debin Ma, Christine Moll-Murata, and Jan Luiten Van Zanden (2011), "Wages, prices, and living standards in China, 1738-1925: in comparison with Europe, Japan, and India", Economic History Review 64, S1.
3. Chao, Kang, (1979), The Development of Cotton Textile Production in China, Harvard University.

4. Deng, Kent, (2015), China's Population Expansion and Its Causes during the Qing Period, 1644-1911 Economic History Working Papers London School of Economics.
5. F. Wakeman, (1975), The Fall of Imperial China, New York.
6. Feyrer, James, Erin Mansur, and Bruce Sacerdote (2020), "Geographic Dispersion of Economic Shocks: Evidence from the Fracking Revolution: Reply", American Economic Review 110(6).
7. Fisher, Michael H., (1984), Indirect Rule in the British Empire: The Foundations of the Residency System in India (1764-1858), Modern Asian Studies Vol. 18, No. 3.
8. Marshall Broom Hall, (1907), The Chinese Empire, York.
9. Pritchard, Earl H., (1957) Private Trade between England and China in the Eighteenth Century (1680-1833), Journal of the Economic and Social History of the Orient Vol. 1, No. 1.
10. Reardon, James, (2000), Land Use and Society in Manchuria and Inner Mongolia during the Qing Dynasty, Environmental History Vol. 5, No. 4.
11. Rhoads Marphry, (1977), The Outsiders, The Western Experience in India and China, Michigan.
12. Tsi C. Wang, (1922), The Youth Movement in China, London.
13. Ward, J. R., (1994), The Industrial Revolution and British Imperialism, 1750-1850, The Economic History Review New Series, Vol. 47, No. 1.
14. Williams, Laurence, (2013), British Government under the Qianlong Emperor's Gaze: Satire, Imperialism, and the Macartney Embassy to China, 1792-1804, the journal Lumen, Volume 32.
15. Wolfgang Keller Carol H. Shiue, (2023), The Economic Consequences of The Opium War, National Bureau of Economic Research.